مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 560 - 576

تاريخ الإرسال: 2022/02/05 تاريخ القبول: 2023/06/15
تاريخ النشر: 2024/05/16

# جهود طه عبد الرحمن في مجال اللسانيات التداولية
# Taha Abd-Rahman's efforts in pragmatics

يوسف بن اودينة[1]،
جامعة غرداية (الجزائر)، [1]

**الملخص:**

يعد الباحث الكبير طه عبد الرحمن من أهم المفكرين في العالم العربي، وتعد بحوثه وأفكاره المتجددة في المنطق واللسانيات من أهم البحوث المؤصلة للسانيات العربية الحديثة فهو يعد مجددا ومنظرا استفاد كثيرا من دراساته في الغرب ومن تبحره في علوم العربية والفلسفة والمنطق والرياضيات مما جعله يعد مرجعا في هذه العلوم الغربية برؤية عربية.

ومن خلال كتاباته الكثيرة في مجال اللسانيات والمنطق وخاصة كتابه اللسان والميزان نجد المفكر العربي طه عبد الرحمن يبين مدى قصر بعض النظريات التداولية والحجاجية الغربية خاصة ما تعلق بمبدأ التواصل وقانون السلم الحجاجي ويقترح نظريات مكملة لهذه النظريات الغربية.

ونجد أن طه عبد الرحمن ينطلق من خلفية عربية متأصلة فهو يحاول دائما أن تكون اللغة العربية والتراث العربي مرجعه الأعلى وعلى ضوء هذه المعطيات كان يتعامل مع القضايا اللسانية الحديثة خاصة التداولية منها، سواء من حيث ترجمة المصطلحات أو من خلال ملاحظاته على هذه النظريات هذا ما سنحاول الوقوف عنده من خلال أعمال المفكر العربي طه عبد الرحمن.

**الكلمات المفتاحية:** التداولية، مبدأ التعاون، مبدأ التأدب، الحجاج، السلم الحجاجي.

**Abstract:**
Taha Abd-Rahman is one of the most significant scholars in the Arab world. His renewed researches and ideas in logic and linguistics are among the most important ones of the modern Arabic linguistics. He benefited too much from his studies in the West and from his navigating the Arabic sciences, philosophy, logic and mathematics, which made him a reference in these western sciences with an Arab vision. Through his many writings in linguistics and logic, especially his book 'Al-Lissan wa-l-Meezan', he shows the shortage of some Western pragmatic and argumentative theories, mainly in what concerns the principle of communication and the argumentative scale law. He proposes complementary theories for these Western theories. From his inherent Arabic background, Taha Abd-Rahman makes the Arabic language and heritage his main reference. He deals with modern linguistic issues, especially pragmatic ones, in terms of translating terms or through his observations on these theories within the light of these data. This is what we will try to deal with through the works of this Arab thinker.
**Key words:** pragmatics, cooperation principle, politeness principle, argumentation, argumentative scale.

---

د/يوسف بن أودينة: HAZEM082012@GMAIL.COM

**1.مقدمة:**

ننطلق في عملنا هذا من الجهود التي قدمها طه عبد الرحمن للدرس العربي، حيث يعُد من أهم المفكرين في العصر الحديث في مجال الفلسفة واللغة واللسانيات خاصة اللسانيات التداولية وهذا بفضل كتاباته القيمة والعديدة والتي ألفها في عدة مجالات. وقد اتسمت كتاباته بالتجديد والنقد ولم تكن بتلك الرتابة التي ألفناها عند المؤلفين من قبله وهو الأمر الذي ينم عن قدرة الرجل في النقد والتأليف.

وقد خاض طه عبد الرحمن معارك صعبة في حياته التأليفية حيث جوبه بالرفض وعدم القبول حيث إنه خاض مجالات لم تكن تجرؤ المؤلفات قبله على تناولها لا بالكتابة ولا بالكلام خاصة الفلسفة وعلم المنطق.

وقد انطلق طه عبد الرحمن من أرضية متينة سمحت له بتقويم كل معوَّج ورد كل شارد إلى طريق الصواب، وقد كان لأولئك المارقين من التراث العربي محفزا له على سلك طريق اعادة الاعتبار للتراث بمنهجية واضضحة دون إقصاء أو تفضيل وغنما كل شيء بالبرهان واليقين.

وسوف نقف من خلال مداخلتنا هذه عند بعض النقاط التي رأينا أنها جديرة بالذكر هنا عند التطرق لجهود طه عبد الرحمن ومحاولتنا هذه غيض من فيض، إذ إن العلامة طه عبد الرحمن جهوده كبيرة وأفكاره كثيرة ولا زلنا نتوسل من أساتذتنا أن يشرحوا لنا هذه الأفكار لما تحمله من عمق وليس من السهل الكشف عن أسرارها ولكنها محاولة في هذا الصدد انطلاقا من تقديرنا لهذا المفكر العلامة وتقديرا لجهوده في مجال العلم، كي لا نلهث وراء أفكار الغربيين ونترك علمائنا مغمورين منسيين، وقد تطرقنا في هذه المداخلة للنقاط التالية:

1. لمحة تعريفية للعلامة طه عبد الرحمن.

2. علم المصطلح عند طه عبد الرحمن.
3. جهود طه عبد الرحمن في النقد والتأصيل من خلال بعض النماذج المذكورة.

**1- التعريف بـ "طه عبد الرحمن":**

ولد المفكر العربي طه عبد الرحمن بمدينة الجديدة بالمملكة المغربية عام 1945 حيث تلقى تعليمه الأول بها ثم انتقل إلى الدار البيضاء ليتم دراسته بها حتى الثانوي ثم انتقل الى جامعة محمد الخامس بالرباط ليتم دراسته الجامعية هناك، حيث حصل على الاجازة في الفلسفة، ثم تم بعثُه في رحلة علمية إلى فرنسا ليتم دراساته العليا هناك فحصل على شهادة دكتوراه السلك الثالث في الفلسفة من جامعة السربون عام 1972 بموضوع حول اللغة والفلسفة، ثم حصل على دكتوراه الدولة عام 1985 حول موضوع الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه.

شغل عدة مناصب وتقلد عدة وظائف بالمملكة المغربية بالإضافة إلى عمله أستاذا بجامعة محمد الخامس منذ 1970 إلى 2005 وهو عضو الجمعية العالمية للدراسات الحجاجية وعضو المركز الأوروبي للحجاج، ورئيس منتدى المفكرين بالمغرب وكان رئيسا لمجلة المناظرة، وله عدة مؤلفات من أشهرها تجديد المنهج في تقويم التراث، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، واللسان والميزان وغيرها من المؤلفات، وتميز طه عبد الرحمن بكتاباته التي تعتمد على التحليل المنطقى والنقد والاهتمام بكل ما هو جديد وعدم الانسلاخ من التراث وقراءاته بصور حداثيه، كما كان لتبحره في النظريات الغربية الحديثة والمنطق بالغ الأثر في بناء منهج متميز قلّ نظيره في الوقت الراهن لذلك فهو يعد من المؤصلين في هذا الزمان وعالم موسوعى حوى عديد العلوم بمنهج جديد متقن.

**2 علم المصطلح عند طه عبد الرحمن.**

عمد المفكر العربي طه عبد الرحمن إلى وضع بعض المصطلحات الجديدة في اللسانيات وخاصة في المجال التداولي وهذا لوعيه الشديد بقيمة المصطلح ومفهومه والحمولة الدلالية التي يؤديها المصطلح إذا كان مضبوطا قائما على أصول علمية، وما للفوضى التي يحملها المصطلح إذا كان عائما أو فضفاضا، ونحن نعلم حقيقة ما يعيشه المصطلح العربي اليوم من فوضى في المفهوم وفي المصطلح، ولكون طه عبد الرحمن يتقن اللغات الأجنبية واليونانية القديمة واللاتينية وغوصه في الفكر العربي فقد حمل إلينا مصطلحات لاقت قبولا عند المفكرين العرب وأصبحوا يستعملونها في كتاباتهم وسوف نقف على بعض المصطلحات هنا لأننا لسنا بغرض التأصيل للمصطلح وإنما وقوفا منا عند بعض جهود هذا الرجل الفذ كان لزاما علينا أن نتطرق لعلم المصطلح عند هذا العلامة، ومن بين المصطلحات التي وقفنا عندها على سبيل الذكر لا الحصر نذكر:

**2-1 التكوثر:** اختار طه عبد الرحمن مصطلح التكوثر ولم يختر غيره من المصطلحات التي تدخل في مجاله الدلالي لثبوت إفادته معنى التكثير النافع واحتمال إفادة الثانية لمعنى التكثير الضار.

**2-2 التداولية:** اصطلح طه عبد الرحمن على العلم الذي يدرس اللغة حال الاستعمال مصطلح التداولية منذ 1970 فقال: «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا" لأنه يوفى المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيى "الاستعمال" و"التفاعل" معا. ولقى منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»[1] ، وبذلك نجد أن طه عبد الرحمن قد

وعى منذ ذلك التاريخ خطورة المصطلح وشرح سبب وضعه لهذا المصطلح مقابل "براغماتيقا".

**2-3 مجال التداول أو المجال التداولي**[2] «هو كل المقتضيات العقدية والمعرفية واللغوية –القريب منها والبعيد– المشتركة بين المتكلم والمخاطب والمقوِّمة لاستعمال المتكلم لقول من الأقوال بوجه من الوجوه»3 أو هو: «محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث»4 وقد ربط طه عبد الرحمن بين مصطلحى التداول والمجال وذلك لما بين هذين المصطلحين من تواشج وصلة تنبئ عن حمولة المصطلح الدلالية، فالتداول متى تعلق بالممارسة التراثية هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمنيا لحصول التواصل والتفاعل[5]،

**2-4 العملية التواصلية:** كما اصطلح طه عبد الرحمن من على أطراف عملية التواصل التي تعرف بالمرسل والمرسل إليه والرسالة المصطلحات التالية: المبلِّغ والتبليغ والمبلَّغ وذلك لأنه رأى أن هناك عوزا في هذه المصطلحات من حيث المفهوم فهي لا تحمل في مفهومها قيمة الوظيفة التي يؤديها صاحبها أثناء عملية التواصل وسنقوم بذكر هذه المصطلحات كالتالي[6]:

أ- التبليغ: استعمل طه عبد الرحمن مصطلح التبليغ عوضا عن الارسال وذلك أن التبليغ عبارة عن نقل فائدة القول الطبيعي نقلا يزدوج فيه الاظهار والإضمار فالمتكلم ليس ذاتا ناقله حتى تجوز مماثلته بجهاز الارسال.

ب- المبلِّغ ذاتا مبلِّغة أي ذات لا تقصد ما تظهر من الكلام فقط، بل تجاوزه الى قصد ما تبطن فيه معتمدة على ما أوردت في متنه من قرائن وما ورد منها خارجه.

**2-5 المحاورة القريبة:** اصطلح طه عبد الرحمن على المناظرة بالمحاورة القريبة وهي النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، فالمناظر من كان عارضا أو معترضا وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع من اعتقادات من يحاوره سعيا وراء الإقناع والاقتناع برأي سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على من يحاوره[7].

**2-6 المحاورة البعيدة:** كما اصطلح طه عبد الرحمن على التناص مصطلح المحاورة البعيدة وهي تعالق النصوص بعضها ببعض وتتعالق النصوص على طريقتين ظاهرة بعرض شواهد من أقوال الغير، أو باطنة يبني بها المحاور نصه عبر نصوص سابقة مماثلة أو مباينة[8].

**2-7 التعارض:** يقول طه عبد الرحمن «وحد التعارض أن يتقلب المتحاور بين العرض والاعتراض منشئا لمعرفة تناظرية وفق مسالك معينة يعتقد أن خصائصها التقابلية أحث على العمل»[9]

**2-8 الحجاج:** «هو فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اخبارية وتوجيهات ظرفية، وهو جدلي لأن هدفه اقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة»[10]

هذه بعض المصطلحات التي تعرضنا لها من خلال كتابات طه عبد الرحمن وقد ركزنا على المصطلحات التداولية والمجال لا يكفى لذكر المصطلحات التداولية فما بالنا بالمصطلحات الأخرى التي تخصص لها دراسات قائمة بذاتها ولأن المقام مقام ايجاز لم نقم بشرح هذه المصطلحات واكتفينا بذكرها كما هي دون تطويل والمجال هنا مفتوح للباحثين للخوض في قضية المصطلح عند طه عبد الرحمن.

### 3- نقد طه عبد الرحمن لبعض الأفكار وتأصيله لأفكار جديدة:

انطلق طه عبد الرحمن من مبدأ نقد ودراسة المشاريع العربية القديمة والحديثة وتحدى جميع العقبات التي يجدها الباحث العربي سواء من حيث عدم جرأته على نقد بعض المفاهيم العربية بحجة أنه من وضع الأوليين ولا يجوز التعرض لها بأيه وجه من الوجوه، أو عدم الكلام عن بعض النظريات الغربية التي تمس جانبا من معتقداتنا لذلك يجب التخلى عنها نهائيا وقطع الصلة معها بحجة أن باطنها يحمل الأحقاد والمضرّة للمجتمع الإسلامي، أو أن كل غربي قد بلغ النهاية في تنظيره فلا يجوز لنا ابداء الاعتراض عليه فقال: «فما كان يجب أن يعظم من معان متأصلة ذهبوا إلى تحقيره من غير تحسر، وما كان يجوز تحقيره من وسائل مقتبسة ذهبوا إلى تعظيمه من غير تقتر»[11]. إذ وقف طه عبد الرحمن من النظريات الغربية نفس الموقف الأول من نظرته للنظريات العربية فهي عنده ليست مثلا أعلى لا يجوز للمرء الخروج عنه، بل قام بردّ بعض النظريات ونقد أخرى كي تتلاءم مع الاعتقاد الإسلامي بل حاول توجيه بعض النظريات الغربية إلى الأصول الإسلامية واعتبر أن المنهج الإسلامي هو المنهج الأمثل.

كما اعتمد طه عبد الرحمن في دراسته للتراث العربي على منحى غير مسبوق ولا مألوف فقال: «فهو غير مسبوق لأننا نقول بالنظرة التكاملية ويقول غيرنا بالنظرة

التفاضلية، وغير مألوف لأننا توسلنا فيه بأدوات مأصولة حيث توسل غيرنا بأدوات منقولة»[12]. اضافة إلى امتلاكه أداة تحليلية منطقية رصينة في التعامل مع القضايا اللسانية تجمع بين الآليات المنهجية والمعرفية التراثية وبين مستجدات الثقافة الغربية إذ أبدع رؤية جديدة مؤطرة بنزعة تداولية تجعل مفهوم المجال التداولي بؤرة أساسية لأعماله اللسانية.

كما اعتمد طه عبد الرحمن على تفكيك المفاهيم المستعملة وإنتاج مفاهيم أخرى تنطلق من المجال التداولي وخصوصياته سواء أكانت عقدية أم لغوية أم معرفية فلا يمكن أن يكون أي إبداع أو فلسفة إلا استجابة لهذه المقتضيات[13].

يعتبر المجال التداولي في نظر طه عبد الرحمن نطاقا مكانيا وزمنيا لحصول التفاعل والتواصل حيث يحمل كل ما يرد عليه من ألوان الثقافة ومظاهر الحضارة على التبدل بحسب مقتضياته التواصلية والتفاعلية انطلاقا من ثلاثة عناصر أو دعائم لغوية وعقدية ومعرفية.

انطلق أيضا من واقع رآه في تعامل الباحثين العرب مع تراثهم، فمنهم من رأى ضرورة قطع الصلة مع هذا التراث وعدم اللجوء إليه البتة، ومنهم من رأى الاجتزاء بأقل بقية منه، لذلك أبى على نفسه إلا أن يخوض مجال تقويم التراث بما هو منه وليس بعيدا عنه وذلك لكثرة الناقدين للتراث والظالمين له على حد قوله فقال: «ولولا أن أحكام هؤلاء الدعاة ظلمت التراث ظلما لما اشتغلنا بالاعتراض على طائفة منهم»[14]، وقد اعتمد في ذلك عل بناء قواعد تخدم التراث انطلاق من ردّ مقولات أولئك الناقدين فقال إننا لم نقابل الهدم بالهدم بل قابلنا الهدم بالبناء، حيث كان طه عبد الرحمن يحاول أن يصلح ما هدمه من تعرضوا للتراث العربي بالنقد وأقصوه من

دائرة الاستعمال، ورأى أن الحاجة ماسة تدعوا الى إنشاء تراث جديد لا لوك أحكامٍ عن التراث القديم.

### 3-2 تأصيل طه عبد الرحمن لأفكار جديدة:

لقد زاوج طه عبد الرحمن بين النقد والتأصيل حيث قابل الهدم بالبناء فكان يحاول أن يؤصل لنظرية عربية في عديد المسائل سواء الفلسفية منها أو اللسانية، وقد انطلق من فكرة نقد النظريات التي كانت قبله بتبيان فضلها او اظهار نقصها كما أعاد قراءة التراث قراءة علمية بعيدة عن الإقصاء أو التقديس وقد تجلت باكورة هذا التأصيل في بيان كيف أن الممارسة الحوارية التي اختص بها التراث الاسلامي العربي والتي عرفت باسم المناظرة تجعل انفصالنا عن هذا التراث من باب التكلف الذي لا يطاق وقد خص كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" الذي ألفه عام 1986 والذي دعا من خلال إلى إعاة النظر في علم المناظرة باتباره علما عربي النشأة . كما نص على أنه لا يمكن الانفصال عن الممارسة الحوارية الخاصة بثراتنا لأن للحوار فضائل خاصة أصبحت تعدُّ اليوم عنوانا على وعي الأمة وتقدمه ومنها أن الحوار لا يوجد إلا حيث يوجد الاختلاف في طرق البحث فالراجح أن طريق الوصول إلى الحق ليس طريقا واحدا لا ثاني له بل طرقا شتى لا حد لها لأن الحق هو نفسه.

كما بيّن أن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة فئات أو أفراد يقتضى مع مرور الزمن إلى تقليص شقة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من بعض فإذا كان انزل الخلاف منزلة الداء الذي يفرق فإن الحوار ينزل بمنزلة الدواء الذي يشفى منه.

هذا عن تأصيل مبدأ الحوار والمناظرة ولما له من قيمة نفعية تعود على الأمة بالتعاون والتآلف ونبذ الخلاف وتقريب وجهات النظر إذ إن النظر من طرفين خير من النظر من جانب واحد وكلما تعدد زوايا النظر قلّ الخلاف بين الأمة.

كما رأينا أن طه عبد الرحمن عمد إلى تأصيل مبدإ للتواصل من خلال نقده للمبادئ الغربية وخلوصه لمبدإ عربي النشأة قام تقعيده ليضاهي هذه المبادئ وسوف نعرض بإيجاز لعمل طه عبد الرحمن المتقن في هذا الصدد في النقاط التالية:

يعد مبدأ التعاون لبول غرايس أول المبادئ التي ألفت في هذا الصدد وهذا من خلال دروسه التي كان يلقيها في شكل محاضرات وطبعت تحت عنوان "محاضرات في التخاطب" وصيغة هذا المبدإ ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه"[15] وقد كان موقف طه عبد الرحمن من هذه النظرية بقوله: «نظرية غرايس تجعلنا بين أمرين اثنين إما أن نتبع القواعد المتفرعة على مبدأ التعاون وإما أن نخرج عنها فإن اتبعناها حصلّنا فائدة قريبة هي أقرب إلى ما أسماه الأصوليون بالمنطوق وإن خرجنا عنها حصلنا فائدة بعيدة هي أقرب إلى ما أسماه الأصوليون بالمفهوم أو المسكوت عنه أو دلالة الدلالة»[16]. وقد قام طه عبد الرحمن بنقد هذا المبدإ بحجة أنه أهمل الجانب التهذيبي من الخطاب، لذلك عمد إلى طرح المبدإ الثاني لـ "لاكوف" وهو مبدأ التأدب والذي صيغته هي " لتكن مؤدبا" حيث يجب على طرفى التخاطب أن يراعيا جوانب التهذيب في القول مثلما يحرصان على جوانب التبليغ وقد رأى طه عبد الرحمن ان هذا المبدإ بعيد عن جانب العمل وبعيد من الاصلاح، إذ إن التأدب يدعو إلى العمل والإصلاح وهو الجانب الذي أهمله مبدأ التأدب عند "لاكوف" وهو الأمر الذي دعا طه عبد الرحمن من جديد إلى عرض المبدإ الثالث وهو مبدأ التواجه واعتبار العمل الذي ورد عند "براون" و"ليفنسن" والذي

صاغه كالتالي: لتصن وجه غيرك وقد رأى طه عبد الرحمن أن هذا المبدأ رغم شموليته من الناحية النظرية إلا أنه يجعل التهديد هو السمة المميزة للقول ويجعل العمل التهذيبي مقصورا على التقليل من هذا التهديد فهو لا يطلب التقرب من الغير بغية تحقيق الألفة بل يقصر الجهد على في التحوط من التهديد مع العلم أن الأنس والقرب من أهم مقاصد التواصل الانساني[17]، وهو ما جعل طه عبد الرحمن يبحث عن التقريب في مبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقريب الذي أورده ليتش في كتابه مبادئ التداوليات والذي يعده مكملا لمبدأ التعاون والذي صاغه صاحبه في صورتين[18]: قلل من الكلام غير المؤدب والثانية أكثر من الكلام المؤدب.

إن هذا المبدأ رغم تحسينه للمبادئ التي قبله إلا أنه يشوبه الميل إلى التظاهر في التأدب، وأن خاصية الربح والخسارة جعلت العمل التواصلي أشبه بالمعاملة التجارية، كما ان الخاصية اللاتناظرية بين المتكلم والمخَاطَب تجعل ما كان مؤدبا في حق المتكلم غير مؤدب في حق المخَاطَب والعكس بالعكس وهو الامر الذي يجعل من التأدب محل تنازع بينهما، لذلك رأى طه عبد الرحمن أنه يتوجب الاخذ بمبدإ آخر يحترز من كل هذا وخو مبدأ التصديق والذي نعرض له في الآتي

مبدأ التصديق[19]: بعد أن نقد طه عبد الرحمن مبادئ التواصل الغربية وبين نقصها في العملية التبليغية أو العملية التهذيبية، إذ إن هذه المبادئ كلما جبرت نقصا في المبدأ الذي قبلها كشفت عن نقص فيها وبذلك خلص طه عبد الرحمن أن مبدأ التأدب يفوق مبدأ التعاون بنصه على الجانب التهذيبي، ومبدأ التواجه يفوق مبدأ التأدب بتعرضه لعنصر العمل من الجانب التهذيبي، ومبدأ التأدب الأقصى يفوق مبدأ التواجه لوقوفه على وظيفة التقرب من الغير التي يؤديها العمل[20]، وبذلك اقترح مبدأ التصديق الذي استقاه من التراث العربي الإسلامي ويقوم هذا المبدأ التصديق

واعتبار الصدق والإخلاص وعلاقته حسب طه عبد الرحمن هي: «لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك»[21]. فقد ربط طه عبد الرحمن هذا المبدأ بتصديق العمل للقول وهذا الأمر قد أخذه من مبادئ الشريعة الإسلامية وخاصة الإيمان الذي هو كل ما وقر في القلب وصدقه العمل وأن تعاليم الإسلام يجب أن تتجسد في الأفعال وليس في الأقوال فقط، وقد جعل طه عبد الرحمن لهذا المبدأ عنصران هما:

1. نقل القول: والذي يتعلق بالجانب التبليغي.
2. تطبيق القول: والذي يتعلق بالجانب التهذيبي.

أما عن القواعد المتفرعة عن هذا المبدإ فقد نص طه عبد الرحمن أنها جاءت مجتمعة ومفصلة في كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي وهي:

- ينبغي للكلام أن يكون لداعٍ يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع او دفع ضر.
- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.
- ينبغي أن يقتصر منه على قدر حاجته.
- يجب أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

قواعد التعامل المتفرعة عن مبدأ التصديق: في الجانب التهذيبي قام طه عبد الرحمن باستقراء هذه القواعد من التراث العربي الإسلامي وحددها في ثلاث قواعد:

قاعدة القصد: ومؤدى هذه القاعدة لتتفقد قصدك في كل قول تلقى به إلى الغير.

قاعدة الصدق: ومؤداها لتكن صادقا فيما تنقله لغيرك.

قاعدة الإخلاص: لتكن في تودك للغير متجردا عن أغراضك.

وهذه القواعد التهذيبية نجدها تتضمن ما تقرر في قواعد التأدب وقواعد التواجه مع احترازها من الوقوع فيما وقعت فيه هذه المبادئ من قصور.

فقاعدة القصد يترتب عليها أمران أساسيان أحدهما: وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة والآخر إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول، ومن خلال هذا يتضح أن قاعدة القصد تأخذ بعنصر العمل من الجانب التهذيبي سواء من جهة المتكلم أو من جهة المخاطب فتكون بذلك متميزة عن مبدإ التأدب لـ "لاكوف".

أما قاعدة الصدق فتقتضى ممارسة الصدق في مستويات ثلاثة: الصدق في الخبر الصدق في العمل، مطابقة القول للفعل.

أما صدق الخبر فهو أن يحفظ المتكلم لسانه عن إخبار المخاطب بأشياء خلاف ما هي عليه، أما الصدق في العمل فهو أن يصون المتكلم سلوكه عن إشعار المخاطب بأوصاف هي على خلاف ما يتصف به.

أما مطابقة القول للعمل فهو أن يحفظ لسانه وسلوكه عن اشعار المخاطب بوجود تفاوت بينهما.

ولما كانت قاعدة الصدق شاملة للجوانب الثلاثة: القول والفعل والصلة بينهما فإنها تأتي في مبدإ التصديق الإسلامي متفرعة عن الجانب التهذيبي منه بينما تأتي في غيره متفرعة عن الجانب التبليغي كما هو الشأن بالنسبة لقاعدة الكيف المشتقة من مبدإ التعاون لـ "غرايس" والتي اقتصرت على على ضبط جانب الصدق في الخبر وحده، ثم إن شمول قاعدة الصدق هو الذي حذا بالماوردي إلى إسقاطها من قواعده التبليغية وإيرادها في باب التهذيب ومتى تحقق المتكلم بالصدق في الخبر والصدق في العمل والصدق في مطابقة القول لفعله. انفتح باب التواصل الصادق بينه وبين المخاطب وتزايدت أسباب التقارب بينهما واندفع كل منهما في طلب التقرب من الآخر فيُحصِلان الزيادة فيه إن كان حاصلا لهما حصولا جزئيا.

أما قاعدة الإخلاص فتقتضي أن يقدِّم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه وليس في هذا التقديم حطّ من مكانته ولا اضاعة لحقوقه، فلا يحط هذا التقديم من قدرة المتكلم

لأن هذه الحقوق لا تقوم على التنازع ولا التأدب المقرون بها يقوم عليه، وإنما تنبني هذه الحقوق على التجرد المتبادل عن أسباب التنازع كالأغراض وغيرها كما تنبني على التأدب المتبادل بحيث كلما زاد أدب أحدهما دعا ذلك الآخر إلى الزيادة فيه فلا تنقصه زيادة أدبه شيئا، وإنما ترفعه في عين الآخر رفعا ويتجلى التبادل في التجرد عن الأغراض والتبادل في التأدب في استعداد كل منهما لأن ينسب إلى الآخر الوصفين التاليين:

- أنه أكبر قدرة على الانفكاك عن موانع التقرب.
- أنه أكثر اتباعا للمعاير الأخلاقية.

وبهذين الوصفين اللذان يعتبران بمثابة الجناحان للعملية التواصلية فيؤدي الوصف الأول إلى التنافس في التجرد، ويؤدي الوصف الثاني إلى التنافس في التخلق، وبذلك تورث قاعدة الإخلاص تقربا صادقا وخالصا يسير بفضلهما المتكلم والمخاطب قدما الى تحقيق مبدأ الإخلاص في مخاطبتهما.

وبهذا يكون مبدأ التصديق الذي استقاه طه عبد الرحمن من التراث العربي الإسلامي يهتم بالجانب التهذيبي وبفضله يخرج هذا التهذيب الذي لا يتجاوز المجاملة والمداراة إلى مرتبة التخلق المخلص الذي ينشد الكمال في السلوك.

**خاتمة:**

من خلال هذه الاطلالة القصيرة حول جهود العلامة طه عبد الرحمن يمكننا القول أن هذا العالم الفذ قد سعى إلى تقويم التراث العربي بكل الأساليب العلمية والمنطقية، وقد بين من خلال كتاباته وجهوده أن التراث العربي الإسلامي يبقى معينا لا ينضب حتى يومنا هذا وعلينا تجديد الثقة بهذا التراث.

كما رأينا كيف قام طه عبد الرحمن بوضع بعض المصطلحات اللسانيات التداولية والتي لقيت قبولا كبيرا من الباحثين وهذا نظرا لتوافق دلالاتها اللغوية والاصطلاحية والحمولة التي حملتها هذه المصطلحات وهذا راجع لتبحر طه عبد الرحمن في عدد من العلوم واتقانه لعديد اللغات خاصة اللغة الأم والمترجم منها المصطلح.

كما قام طه عبد الرحمن بنقد العديد من النظريات الغربية وأضاف أشياء إليها بما يتلائم وخصوصية المنهج العربي خاصة فيما يعرف بمبادئ التواصل التي تعرضنا لها ورأينا كيف استقر به المقام عند نظرية تواصلية عربية المنشأ واصطلح عليها مبدأ التصديق، كما قام باضافة مبدإ على نظرية السلم الحجاجي لديكرو وقد أشاذ بهذا الصنيع الأستاذ أبو بكر العزاوي في كتابه اللغة والحجاج، وبهذا العرض الوجيز نلاحظ ان جهود الأستاذ طه عبد الرحمن من الواجب ان تقيم وتصبح بمثابة المنهج الذي يقتدي به الطلبة والأساتذة في بحوثهم ومؤلفاتهم.

**قائمة المراجع:**

[1] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص.28.
[2] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص.244.
[3] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص.29.
[4] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص. 244
[5] ينظر: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص. 244.
[6] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص. 216–217.
[7] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص.47
[8] نفسه، ص.47.

[9] نفسه، ص.49.

[10] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص. 65.

[11] تجديد المنهج في تقويم التراث، ص .11.

[12] نفسه، ص12

[13] نفسه.248

[14] طه عبد الرحمن تجديد المنهج في تقويم التراث، ص.12

[15] طه عبد الرحمن اللسان والميزان، ص.239.

[16] نفسه، ص239.

[17] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص.246

[18] ينظر: نفسه، ص. 246.

[19] ينظر: نفسه، ص.249 وما بعدها

[20] ينظر: نفسه، ص.253.

[21] طه عبد الرحمن اللسان والميزان، ص.249.